

الغزل في شعر المرأة ...

للشيخ محمد رجب البيومي

- ١ -

من الأدب الفسوى :

شعر المرأة في مجموعته قليل ضئيل فانت تجد الموسوعات الأدبية تزخر بأشعار الرجال في شتى المواضيع ، دون أن تطالع للمرأة غير البيتين أو الثلاثة في الفصل الطويل ، ولا يرجع ذلك إلى غبن أو تقصير في جنب المرأة كما قد يتوهم فريق من الناس ، بل لأن المؤلف يحرص على أن يختار لقرائه أنفس ما وقعت عليه عينه من رائع الشعر ، وبديع القول ، والمرأة وإن أجادت في كثير من الأغراض فالرجل بلا شك أكثر منها إجادة ، وأكمل توفيقاً ، فالؤلف إذن معذور مشكور ...

النسوة اللاتي لم ينادرن ببلادهن ، إلى مختلف بلاد القطر . فهؤلاء لا يتكلمن بالعربية على الإطلاق ، لأنهن لا يكدن يرفن عنها شيئاً أكثر مما يرف عنها أهل القطرين !!

ومن العجيب أن التنافس شديد في العلم والمعرفة ، والرق إلى المناصب السامية ، والتخلص من ربة الماضي الأليم — بين أهل الشمال وأهل الجنوب من النوبيين حسب ، أو بالحري بين المنطقة الأولى والمنطقة الثالثة ، ويظهر ذلك جلياً بين تلاميذ مدرسة عنتبة ، في بدء العام الدراسي عند الدخول أو الالتحاق بالمدرسة ، ثم يزداد وضوحاً في حجرات الدراسة مما يشهد المهم ويأهب القرائح ، ويدعو إلى التفوق والهوض ..

ويلاحظ أن تلاميذ المدرسة من أهل الشمال ، أكبر سنًا من تلاميذها من أهل الجنوب ، وربما يكون مرجع هذا إلى أن قرب المدرسة من أهل الجنوب يساعد على الالتحاق بها في سن صغيرة .

كما تبدو هذه المنافسة بين الكبار في شتى النواحي ، ومختلف مظاهر الحياة ، مما قد نعرض له في سياق الأحاديث .

عبد الحفيظ أبو السعور

والغزل بنوع خاص لم يظفر بتصيبه الذي يستحقه من المرأة بل كان عنصراً عزيز النال ، قد قامت دونه الموائع ، وتكاثفت أمامه السدود ، وذلك طبعاً لطبيي للغاية إذا نظرنا إلى البيئة الشرقية التي ترعرعت فيها الفتاة العربية ، وعلينا أن من الواجب الأكيد على الشاعرة أن تقف إزاء عواطفها القلبية صامته مفعمة مهما اعتاج صدرها بالشوق ، واستمر فؤادها بالحنين ، وإلا فتحن ترى من الفتيات من نظمن القلائد البديعة في مختلف أغراض الشعر ما عدا الغزل ، فقد أمسكت حواء عنه ، ولم تحلق بمناحها الشاعر في أجوائه الفسيحة . فهل كان ذلك عن عي أو قصور؟ أو أن الرقابة القاسية من الأهل قد أخرست الألسنة الشاذية ، وأبجت الطيور الصادحة ، رغم ما نعرفه في المرأة من شعور دافق وإحساس مشبوب ...

ونحن نعلم جيداً أن بثينة صاحبة جميل ، وأميمة فائقة ابن الدمينية ، وليلي معبودة قيس ، قد كن شاعرات مجيدات ، فليت شعري أين ما نظمته من الغزل الرقيق ؟ مع ما يمتدح به التاريخ من تقابهن في العشق ، وجنونهن في الحب ، اللهم إلا أن تجد لكل واحدة مقطوعة ضئيلة لا تتناسب مع ما يتأجج في صدرها من لهيب !

وإذا كان ابن الأيكة يحنح إلى الترم في خلسة موانية مهما نصبت حوله الشباك الوثيقة ، وقامت في وجهه الموانع المتراحة فإن الأسفار الأدبية قد حفظت لنا جمرات مشبوبة من غزل المرأة الرائقة وهي — على قلها — تعطيك فكرة تامة عن القيمة العقلية للمرأة ، وتوقفك على كثير من الانفعالات النفسية التي تكابدها الفتاة إذا احترقت في سفير الغرام

والواقع أن المرأة لم تلج باب الغزل سريجة سافرة بل تلثمت بكل ما ملكته من براقع وخمر ، فكان غزلها في الغالب تليحاً يهديك إلى الطريق ويملكك تسير فيه وحدك دون أن يرافقك في خطواتك ، وقد تجد من يسلبها الوجد وشادها الناصح ، فتنتطق بما يجيش في صدرها وانحماً سافراً دون أن تنلم بلثام واحد ولها من شموورها النافق ، وغرامها التقد ما يبرر لها الغزل والتشبيب

وصاحبة التليح أربية ذكية تعرف من أين تؤكل الكتف فقد استنذت عنصر الحنين إلى الوطن أتمر استغلال ، فاعتمدت

ولكن الحاكم يقف في وجهه منذراً مهدداً ، فيمنعه من التفريد
الساحر ، وهنا يلجأ الشاعر إلى الكناية المقبولة فيتنزل في
السرحة مطناً في عاسها الفاتنة ، ولعمري لقد وفق في اختياره
فالسرحة ذات منظر جذاب ، وثمر شهى ، ونسيم منعش مريح
وكل ذلك مما يذكر الماشق المدنف بمعبودته فيتمثلها أمام عينه
إذ يقول :

أيا طيب رياها ويا حسن طعمها إذا حان من شمس النهار شروق
وهل أنا إن عللت نفسي بسرحة من السرح مسدود على طريق
ومهما يكن من شيء فقد نفت الشاعر عن صبره . ولم
يحمل لأحد سلطاناً عليه ، ثم هو قد فتح الباب على مصراعيه
لعلية بنت المهدي شقيقة الرشيد . فقد علقت غلاماً لها يسمى طلاء
ونظمت فيه من الرقائق الأنيقة ما هو جدير بأمثالها من التفقات
الناعمت ، ولكن هرون يقف أمامها وقفة تحدى بها الفن تحدياً
سارحاً ، فلجأت إلى التنزل في السرحة مقتدية بمحميد إذ تقول
أيا سرحة البستان طال تشوق وما لي إلى ظل لديك سبيل
ثم تطلب في وصفها الساحر فتجلس على ناصية الإبداع
والافتتان وذلك منها غير كثير ...

وفي رأي أن هذه الحبيطة جميلة مقبولة تثير مع الأخلاق
النبيلة في مبيع واحد ، وإن كان من الشاعرات السذج من
تبالغ في الحذر والحبيطة ، فتعلن لك أنها تتق الله عز وجل وتأنر
بأمر العفاف ، ثم تمتد أنها قد أمنت بذلك ما عسى أن يوجه
إليها من ملامة أو نقد ، فتصرح بما يثير حولها الشكوك ،
ويحملها مضفة ملوكة في الأفواه ، ودونك قول أم ضيغم البلوية
وبتنا خلاف الحى لا نحن منهمو ولا نحن بالأعداء مختلطان
وبتنا يقينا ساقط البرد والندى . من الليل برداً بمنة عطران —
نذود بذكر الله عنا من الصبا إذا كان قلبانا بنا يجفان
ونصدر عن أمر العفاف وربما نقعنا غليل القلب بالرشقان
وأنا لا أدري ماذا يفيدها ذكر الله بمد أن نقعت غليل
القلب بالرشقان ؟ وماذا يغنى العفاف بمد أن باتا في مكان قاص
خلاف الحى ؟ ، اللهم إن هذا احتراس أدى إلى انتضاح ولكن
فيه راحة الطمأنينة على كل حال ...

ومن الماشقات من تصرح للملأ بتقوى الله عز وجل
واستحياء بعض العواقب ، ولكنها تعصم بالعقل فلا تتورط

عليه في التفتيت عن صدرها ، والتعبير عن خواجها ، لما تلمه
من الصلة الوثيقة بينه وبين الغزل ، وهي بذلك قد أخذت الفتنة
الثائرة ، وأغمضت العيون المنيرة ، ثم — هي في الوقت نفسه —
قد أقهمت حبيبها كل شيء . فأدرك من حنينها الذائب ما يتقد
في أحشائها من شوق . وهذا في الواقع مطلب عزيز ، تذلل
الماشقة جهدها الجاهد في تحصيله ، فلم لا تصل إليه من أقرب
طريق ؟ ؟

ونحن نعلم عاشقات مدنفات قد اشتهر في اللا شوقهن
المارم ، فما احتمله قريب أو صديق . بل عمد كل والد إلى فتاته
خملها إلى وطن غرب ، وعقد قرانها في بلد نازح ، وهنا ترسل
الثائرة حنينها إلى مسارج الصبا وملاعب الشباب ، وأنت حين
تقرأ لا تجد غير غزل مقنع قد أهدى إلى الحبيب الأول ففهم
منه كل شيء ، ولك أن تعتبر من هذا النوع قول القائلة :

ألا أيها الركبان انزلوا عرجوا علينا فقد أضى هوانا بآيا
نسائلكم هل سال نهمان بمدنا وحب إلينا بطن نهمان واديا
فأب به ظلا ظليلا ومورداً به نفع القلب الذي كان صاديا
فهل صحيح أن الشاعرة تقصد ما نهمان ، وظله الظليل
ومورده الرائق ؟ ! لو كان ذلك وحده ما أحسست بهذه الحسرة
التأججة ، واللاهفة المشتعلة ، وما اهدت الشاعرة إلى قولها
الرائع « به نفع (القلب) الذي كان صادياً ! »

ونظائر هذه الأبيات لا تندرج تحت حصر ، وهي تدلنا على
فطنة المرأة ، وذكاؤها اللامح ، وتؤكد لنا أن الحب كالزهره
الناضرة ، لا بد أن يبقى أريجها في كل مكان تحمل به وهل كان
الحنين غير عبير فائق ينمش الأفئدة ويهيج النفوس ؟ !

وكثيراً ما تفر المرأة من الحنين إلى الكناية والرمز ، وهي
في ذلك تقتدى بالرجل فتسير وراءه خطوة خطوة ، ولكن أى
رجل تتبع ؟ ؟ إنها تصمد إلى شاعر سدت أمامه السالك ،
وصاصلت في كفه القيود ، فتتجبه معه في اتجاهه ، مادامت
ظروفه القاسية كلابساتها العنيدة ، وإذا كانت المرأة تمتد في قرارة
نفسها أن الرجل أحزم منها وأعقل ، فإنها تسلك طريقه معتمنة
إلى السلامة واثقة بالنجاة ...

ولعل أسدق مثال تقدمه للقارىء ، هو حميد بن ثور الهلالي
فقد كان ممن يرج بهم الشوق فأرسل قصائده التزلية سافرة غارية

قليل الموالى مستهام صروع له بمد نومات المشى عويل
يقول له السجان أنت معذب غداة غد أو مسلم فقتيل
بأكثر من لوعة يوم راعى فراق حبيب ما إليه سبيل
فأنت ترى أن الطريقة الأولى هي الطريقة الثانية ولكن معنى
عائتك مكرر مما (١) أما أبيات ضاحية فذات تصوير مبتكر
وأنت لا تستطيع أن ترجع بها إلى قائل متقدم ، مهما أنعت
فك في التنقيب ، ثم هي تصور لك جزع المرأة من السجون
ورهبته من القيود ، وليت شعري إذا لم نلح إحساس المرأة
من شعرها الماطى فن أى نبع دافق نستقيه ؟ أما قوة النسيج
فبارزة بوضوح في كلتا المقطوعتين

محمد رجب البيومي

(ينبع)

(١) لا تكاد الصورة الوصفية للماء في قول عائتك تخرج عن قول
كعب بن زهير
تجلى عوارض غي ظلم إذا انكست كائنه منهل بالراح معلول
شحت بنى شيم من ماء عينة صاف بأطح أحصى وهو مشول
تنى الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب غادية ينش بالليل

فيها تورطت فيه أم ضنينم ، بل تسير في سبيلها الملوء بالشوك
يقظة محاذرة ، تتجنب الموائق ، وتتجافى عن المزالق حتى تنهى
من السير بسلام ، والتفت منى إلى عائتك الرية إذ تقول :

وما طعم ماء أى ماء تقوله تحذر من غير طوال الذوائب
بمنعرج من بطن واد تقابلت عليه رياح الصيف من كل جانب
نقى جرية الماء القذى عن متونه فإ إن به عيب يتاح انذار
بأطيب ممن يقصر الطرف دونه تنى الله واستحياء بمض المواقب

ثم صار حتى رأيتك هل لاحظت عليها ترطاً وانزلاقاً كم ضنينم
أو وجدت في قولها ما تشم منها رائحة الريب الآثم ، الحق أنها
كانت ابنة ماهرة فيما نظمت ، وأنا لا أدري لماذا تذكرني أبياتها
بأبيات أخرى تتفق معها في الطريقة ، وتخالفها في التفكير .

ونحن لا يهمنا أن يكون الإطار من نوع مألوف بل نحصر على أن
تكون الصورة جديدة والريشة بارعة كما جاء في قول ضاحية الهلالية:
وما رجد مسجون بصنماء عضه بساقيه من صنع الفيون كبول

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للثقافة

إعلان

عن جوائز فؤاد الأول سنة ١٩٤٨

تعلن وزارة المعارف العمومية أن
الوضوعات التي سيمنح المصريون عن
الإنتاج فيها جائزة فؤاد الأول للآداب
المؤجلة عن سنة ١٩٤٧ وجوائز فؤاد
الأول للآداب والقانون والعلوم لسنة
١٩٤٨ هي : -

جائزتا الآداب :

وتمنحان عن الإنتاج في الآداب
البحثية مثل الأدب القصصى والأدب
التصويرى والأدب الاجتماعى والشعر
والبحوث الأدبية (النقد - البحوث
اللغوية - الدراسات الإسلامية الأدبية)

جائزة القانون :

وتمنح عن الإنتاج في : -

١ - القانون الخاص ويشمل الفقه
الإسلامى ، والقانون المدنى ، والقانون
التجارى وأوضاع التقاضى وغيرها من
فروع القانون الخاص .

ب - العلوم الاقتصادية والمالية .
جائزة العلوم :

وتمنح عن الإنتاج في العلوم الطبيعية
والرياضية والفلكية . ويدخل فيها بنوع
خاص علم الطبيعة التجريبى وعلم الطبيعة
النظرى والعلوم الاحصائية وعلم طبيعة
الاجرام السماوية (الاستروفيزيقا)
والهيدروليكا والميكانيكا والكهرباء .

ويشترط في الإنتاج الذى يقدم لنيل
الجوائز الأربع .

١ - أن يكون ذا قيمة علمية أو

فنية ممتازة تظهر فيه دقة البحث والابتكار
ويهدف خاصة إلى ما يفيد مصر والإنتاج
القومى وتقدم العلوم .

٢ - أن يكون قد سبق نشره
ولم يعض على نشره لأول مرة أكثر من
خمس سنوات من تاريخ الإعلان .

٣ - أن يكون باللغة العربية
الفصحى .

ويرسل الإنتاج من أربع نسخ إلى
المراقبة العامة للثقافة بوزارة المعارف في
موعد غايته ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٤٧ .

وقيمة كل جائزة من الجوائز الأربع
١٠٠٠ ج وسيكون موعد منح هذه
الجوائز يوم ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٨ تخليفاً
لذكرى المنفور له الملك فؤاد الأول .